البروغرام الصهيوني السياسي

﴿ بقلم الزعيم الصهيوني اوسيشكن ﴾

شرعت جريدة فلسطين بترجمة هذا الكتاب بالعربية ونشره تباعا فيها ، فرأينا ان ننقل بعض فصوله عنها بمناسبة ما نشرناه في الاجزاء الماضية عن الجنسية في البلاد العثمانية ، ولما فيها من العبر

الفصل الاول

ان المساعي التي بذلها الشعب الاسرائيلي للخلاص من منفاه بعد ان مضى عليه فيه نحو الفي عام ، قد تحولت منذ ٢٥ سنة من حالة التفكير والسكون الى حالة الحركة والعمل ، وذلك لاعادة حياته السياسية الحرة في بلاد اجداده

ولقد كان مالاقاه اليهود من المذابح وما قاسوه من الاضطهادات في غربي روسيا من اكبر البواعث على اخراج هذه المجهودات من حيز الفكر الى حيز العمل . ومن يتتبع تلك المساعي يجد انها كانت تتغير وتتطور تبعا للظروف ومجاراة لما كان يضعه الزعماء من البروغرمات والخطط . فجمعيات «محبة صهيون» و«الصهيونية الروحية» و«الصهيونية السياسية» ، لم تكن الا وسائط مختلفة وطرقاً متعددة ترمي جميعها الى غاية واحدة وتوصل الى غرض واحد

ـ الصهيونية السياسية ـ

كل امة تسعى وراء كيان سياسي مستقل حر يجب عليها توصلا لغايتها هذه ان تراعي ثلاث حالات ضرورية : حالة الشعب ـ وحالة

البلاد — وحالة الظروف الخارجية

١ حالة الشعب : من الشروط الاولية لكل امة تسعى وراء الاستقلال السياسي والاقتصادي والادبي ان يكون شعبها على شيء من الاستعداد لذلك، كأن يكون ذا شعور قومي راق، وجمعيات قوية منظمة، ورؤس اموال كبيرة عمومية، وصبر على احتمال المصاعب، واهم من ذلك كله ان يكون مستعدا دائما لتضحية مصالحه الحاضرة امام الصالح العام المستقبل. فاذا كانت هذه الشروط جميعها لاتوجد في الشعب ولم تبذل المساعي اللازمة لايجادها فيه، استحال على الامة ان تنشئ لنفسها مركزا سياسيا حرا

٢ حالة البلاد : اما حالة البلاد أو الارض التي تريد الامة ان تستقل بها استقلالا سياسيا فيجب ان تكون ملكا لها بالفعل من الوجهتين الاقتصادية والعقلية، اعني ان تكون جميع قوى تلك الارض الحيوية في يد شعبها، وان كانت الارض نفسها تحت سيادة غيره اسما. وان يكون للشعب بها علاقة روحية، وتكون تربتها مشبعة من دمه وعرق جبينه، والا كانت غير صالحة للاستقلال

٣ حالة الظروف الخارجية : ثم لو فرضنا ان الشعب كان جامعا لكل شروط الاستقلال وكانت حالة البلاد موافقة له، فاستقلاله فيها واعلان حكمه عليها، لا يتيسر ان له الا اذا ساعدته الظروف الخارجية أيضا، لارتباط مصالح جميع الشعوب بعضها ببعض وإن تشعبت الطرق المؤدية اليها. ولذلك كان لا بد في كل حركة قومية من برنامج سياسي تتمشى عليه لاجتناب ما ربما يقف في طريقها من العثرات، واقناع الحكام والمحكومين

باخلاص تلك الحركة وما ينجم عنها من الفوائد ، مع السعي في الوقت نفسه باستمالة الرأي العام الاجنبي ، واستخدام احسن ما فيه من القوى العقلية والانسانية لمنفعة تلك الحركة ، والا اصابها الفشل

الفصل الثاني

ان احسن بروغرام يجب السير عليه في كل حركة قومية تتطلب الخلاص والاستقلال هو العمل لها من الجهات الثلاث المذكورة. وبهذه الطريقة فقط تتقدم وتتقوى من يوم الى يوم ومن سنة الى اخرى . فيصلح حال الشعب ويسهل عليه امتلاك البلاد ، وتصبح الظروف الخارجية ملائمة له ، وتكون جميع القوى التي تملكها الامة قد استخدمت لفائدة تلك الحركة . فبينما تسعى جماعة مثلا لتكثير رءوس الاموال وافعام خزائن الشعب منها ، تكون غيرها ساعية وراء تعليم العامة وانماء مداركها وشعورها ، وبينما تكون جماعة ترود البلاد وتدرس حالتها ، تأتي اخرى لاستثمارها واستعمارها ، وبينما يقوم البعض بشرح رغبات الامة وغاياتها امام الشعوب الاجنبية ، يسعى آخرون بالتعارف مع الملوك والوزراء وما يترتب على ذلك من الامور السياسية. لان على مجموع هذه الاعمال المتفرقة التي يقوم بها الافراد والجماعات في جهات متعددة وفي وقت واحد يتوقف نمو الحركة ونجاحها .

وبالعكس فان النتيجة تكون عقيمة أو قليلة الفائدة[1] اذا حصر المسعى

(١) هذه عبارة تستعملها الجرائد على انها منطقية وما هي بمنطقية، ولكنها فاسدة . فالنتيجة لا تكون عقيمة وانما تسمى المقدمات التي ليس لها نتيجة صحيحة مقدمات عقيمة أي غير منتجة ، ولفظ العكس مستعمل في غير محله ايضا . والمراد من الكلام ان نتيجة ما يأمن السعي يكون ضد نتيجة ما تقدم

في جهة واحدة ، وبقيت قوى كثيرة مهملة بدون عمل . ومن المحتمل ايضاً ان يكون هذا العمل الناقص ذا نتائج محزنة في المستقبل، لان اقل عارض يطرأ عليه يوقف مجراه فيفقد العملة نشاطهم ومراكزهم ، وتقع عامة الشعب في أزمة شديدة ، وتصبح الحركة في طور حرج جدا، وفي ذلك من الاضرار مالا يخفى على احد .

أما اذا كان العمل مشتركا وفي جهات متعددة فهبوط جزء منه في جهة يعادله نجاح جزء آخر في جهة اخرى. وهكذا تبقى الحركة سائرة سيرا طبيعيا مطرداً

لنتصور الآن ان الظروف الخارجية كانت موافقة لرغبات امة ما ، تريد ان تجدد تاريخها وحياتها الاستقلالية في أرض ما ، ووافقت الحكومات والشعوب جميعها على رغبتها هذه، ولم تجد مانعاً خارجيا يقف في سبيلها ، ولكن شعبها كان من جهته قليل الثقة بقواه الخاصة قليل الاستعداد لبلوغ الغاية التي ترمي اليها ؛ لا جمعيات منظمة لديه ، ولا اموال عمومية تساعده على اغتنام الفرص المهمة واستخدامها ، فماذا تكون النتيجة ؟ تكون النتيجة حينئذ ان تلك الفرصة المهمة التي سنحت تفوت ، وربما لا تعود في عدة قرون . ومثل هذه الفرص عرضت مرتين لليهود عند ما طردوا من اسبانيا في ايام الدوق جوزيف دي نكسوس فلم يستخدموها .

ثم لو تصورنا عكس ذلك ورأينا الشعب مستعدا للحياة الاستقلالية ولديه جميع الوسائط اللازمة وكانت البلاد في قبضة يده فعلا ولكن الظروف الخارجية كانت لا تساعده اولا تسمح له بالحصول على بغيته ، إما

لانه لم يهتم بها، واما لانهما لم تكن على استعداد تام لقبول فكرته ، فماذا تكون النتيجة ؟ تكون النتيجة اذ ذاك ان الشعب يضطر الى ان يبقى تحت العبودية والنير في انتظار ايام احسن . ومثل هذه الحالة تنطبق الآن تماماً على حالة ارمينيا العثمانية التي وان كان استقلالها امراً لا بد منه، الا ان ذلك يطول مادامت الظروف الخارجية غير موافقة له .

على اننا اذا وجدنا لما تقدم مثالا صعب علينا جدا ان نجد في التاريخ العام كله من اوله الى آخره حالة مفجعة اسوأ من حالة شعب ذكي متعلم راق كالشعب اليهودي هبّ لجمع شتات قواه وتنظيم رؤوس أمواله ، وشعر بوجوب استمالة شعوب وحكام العالم أجمع لمساعدته والاخذ بيده ، فوجد بعد كل هذا العناء ان البلاد التي ينشدها وهي غاية امانيه ومطمح انظاره ومرمى مساعيه التاريخية بين ايدي شعب آخر يضارعه اجتهاداً ولا يقل عنه في مداركه الاقتصادية . ولذلك فانني [1] اشعر بوجل شديد وترتجف اعصابي عندما أتصور ان الشعب الاسرائيلي ربما وجد نفسه في مثل هذه الحالة يوما ما اذا ظلت مساعي بعض زعمائه منصرفة الى جهة واحدة. وحينئذ قل: السلام على تاريخه المملوء بالآلام والاضطهادات وعلى امانيه وموضوع احلامه وآماله ، وقل: السلام على مستقبله الذي أضرّ به جهل الزعماء ، اكثر من مساعي الاعداء

(١) يكثر مثل هذا التعبير في الجرائد وكتابة بعض المتاخرين — أعني الجمع بين لام التعليل وفاء السببية بهذه الصفة — وقد يكون المقام لاحدهما فقط . والاستعمال الفصيح في الجمع بينهما ان يقال : فلذلك اشعر بوجل شديد . فان حتيج الى التأكيد قيل : فانني لذلك أشعر بوجل الخ

الفصل الثالث

ان سبب قلة نجاح الحركة الصهيونية في الخمس وعشرين سنة الاخيرة يرجع معظمه الى النقص في العمل - فجمعية «محبة صهيون» لم تهتم في بحر عشر سنوات في غير امر البلاد وحالة الارض فقط، فلم تفكر في اعداد الشعب لها وانماء مداركه العقلية، ولا بانشاء رءوس اموال عمومية، ولم تعرف ان تحول هذه الحركة الى حركة رسمية سياسية، ولم تجرب ان تستميل اليها الدول الاجنبية، بل اكتفت بان تظهر في مظهر المحسن بانشاء بضع مستعمرات تعيش من مال الاحسان، ولذلك انتهت هذه المدة الاولى من تاريخ الصهيونية بازمة سنة ١٨٩١

على ان المدة الثانية التي تلت تلك الازمة وهي مدة انتشار الصهيونية الروحية لم تكن باسعد حظًّا من الاولى، فقد أهمل فيها امر البلاد كما أهمل في التي قبلها امر الظروف الخارجية. وبعد خمس سنين انصرفت في اثنائها جميع المساعي الى التعليم الداخلي وتنبيه الشعور العقلي فقط، نبغ عدد قليل جُلُّهُ من الخياليين، فلم يجدوا لما تعلموه فائدة محسوسة أو عملا ماديا، وبقي مجموع الامة جامدا، وأصبحت الحركة الصهيونية مهددة بالموت - الى ان عقد المؤتمر الاول فابتدأت به المدة الثالثة وهي عصر الصهيونية الذهبي، فبعثت الحركة من مرقدها ودبت في الامة روح جديدة، لانها وجدت في المؤتمر ضالتها، ووافقت قراراته هوى في نفسها.

ان جميع الصهيونيين الحقيقيين اصحاب الوجدان ومفكري الامة رأوا في بروغرام مؤتمر (بال) الاول ادغام البرغرامات السابقة باخرى جديدة حوت صفوة ما تقرر، وخلاصة رغبات الامة، ولا سيما في تصريحه جليا على

مسمع من العالم أجمع، بانا نجاهد لانشاء حكومة يهودية في فلسطين، وانه لا بد لنا لنصل الى هذه الغاية من اربعة امور :

١ً — امتلاك فلسطين اقتصاديا وادبيًا

٢ً — تنظيم قوى الشعب وانشاء رؤوس اموال عامة له

٣ً — احياء الشعور القومي في الشعب وترقيته

٤ً — السعي بكل طرق السياسة لجعل جميع الظروف الخارجية موافقة لنا. وفي الحقيقة ان الشجاعة الادبية التي اظهرها هذا المؤتمر في اعلان حقوق الامة الاسرائيلية على فلسطين، والخطة الجلية الصريحة التي رسمها لبلوغ هذه الغاية، والقوة المعنوية التي تجلت من خلال ابحاثه، — كان فعلها في الشعب اليهودي فعل المعجزات. فانه تنبه من سباته العميق، وفي كل محل بلغت اليه اخبار المؤتمر عقدت الاجتماعات، وألقيت الخطب، فأسست الجمعيات، وتألفت الشركات . ومنذذلك الحين اخذ العمل يتقدم بسرعة وبجدّ واجتهاد عظيمين ، فاشتد ساعد الجمعية الصهيونيه وانشأت صندوق المال الملي، وانضمت لها قوى سياسية خارجية، وظهر لنا من نتيجة مقابلات الملوك والوزراء بان حركتها ستنمى وتقوى على مرّ الايام

غير ان القريب من مركز ادارة هذه الحركة والواقف على ماجرياتها يلاحظ في الحال ان الخطأ العظيم الذي كانت الصهيونية تتألم منه في مدتيها الاولى والثانية — واعني به قيادة الحركة من جهة واحدة فقط وتوحيد المساعي وصرفها وراء نقطة واحدة من نقط البروغرام — مازال يرتكب حتى الآن ، وذلك بسعينا وراء العمل السياسي فقط لاجتناب العقبات الخارجية

اما الجهات الاخرى فلم يلتفت اليها بل اهملت بالكلية

فالامر الاول من برنامج مؤتمر (بال) وهو امتلاك « فلسطين » اقتصاديا واداريًا كان من نتيجة قلة الاهتمام به ان اللجنة التي عينها المؤتمر للنظر في المسائل الاستعمارية لم تعمل شيئاً، لانه لم يدخل صندوقها شيء من المال، ووجد مديرو هذه الحركة في فلسطين انفسهم بعد ست سنوات أنهم لم يتقدموا خطوة الى الامام، بل ظلوا في ذات النقطة التي ابتدأوا منها

ثم ان الآداب الاسرائيلية لم تتقدم أيضاً تقدما محسوساً، وكانت مسألة البحث في احيائها تبدو في كل مؤتمر كشبح مرعب . والدليل على ذلك النجاح البطيء الذي صادفته اللغة العبرانية في السبع السنوات الاخيرة مع انها من اكبر العوامل على تنبه الشعور القومي

الفصل الرابع

ظهر مما تقدم ان ادارة العمل من جهة واحدة لا يمكن ان تأتي بالفائدة المقصودة ، ففي الوقت الذي كانت فيه مساعي الرؤساء جميعها منصرفة الى العمل السياسي ، كان بقية الاعضاء يطلبون بالحاح شغلا عمليًا آخر ، ولكن هذا الشغل لم يكن موجوداً ، والعمل السياسي كما لا يخفى لا يصلح له الا رجال مخصوصون ، وهكذا أهملت نفسها التي عليها مدار الحركة ، ولم يلتفت الى حفظ المواصلات معها ، وارسال قوى جديدة اليها ، كما انه لم يهتم احد للاعمال العقلية وتنبيه الشعور القومي ، وجل ما عمل اذ ذاك كان منحصراً في جمع المال والقاء الخطب ، الى ان جاء المؤتمر الرابع. وهذا بدلا من ان يكون صهيونيا أي ان يهتم بقيادة الحركة في الطريق

السويّ اقترح وضع برنامج خلاصته : انشاء جمعيات للتعاون وجمعيات خيرية وجمعيات اسعاف لإطعام الجياع وصندوق للتسليف . فجعل للحركة الصهيونية دخلا في كل شيء حتى في جمعيات رجال المطافي الحرة ، فكانت النتيجة ان المزائم انحلت وشعر الناس بأن هذه الاعمال لا تصل بهم الى الغاية

ثم حدث ماهو انكى من ذلك فقد استقر في الاذهان أن الصهيونية السياسية رغم مابذلته من المساعي واستفادته من وعد الحكومات بمعاضدتها ، هي عاجزة عن تغيير طرق معيشة الشعب اليهودي واصلاح احواله وتحسين معاملته ودفع الحيف عنه في اكثر البلاد التي يقطنها ، ولذلك كان كل عمل الصهيونية في نظر الامة الاسرائيلية لا يساوي شيئاً. وقد اصاب الناس في هذا الاعتقاد لان امورهم الاقتصادية كانت تزداد سوءا من يوم الى يوم ، والمهاجرين يغادرون بلادهم بالالوف ، والحرائق والمذابح والاضطهادات يتلو بعضها بعضاً ، والافواه تردد باصوات عالية قائلة : اعطونا عملا ، نريد شغلا . فلم يجدوا من الصهيونية مايحقق آمالهم فيها . ومما زاد في الطين بلة على أثر ذلك قيام عثرة جسيمة في طريق سياستنا اضطرتها في سنتها السابعة ان توقف عملها مدة من الزمن فوقفت الحركة من جميع الجهات .

على ان وقوف دولاب الحركة هذا لم يكن ليضرها بمقدار ما اضرت بها فكرة بعضهم في استعمار اوغندا . وهي اعظم غلطة ارتكبت في مدة الخمس وعشرين سنة الماضية من تاريخ الصهيونية ، لان الانظار تحولت

اذ ذاك الى هذه الوجهة . وانشقت الحركة الى قسمين، واشتبت الحرب بين الاخوة وتمزق العمل فكان من نتيجة ذلك حدوث ازمة هائلة . وبعد ان كان الصهيونيون قبل المؤتمر السادس اقوياء - لا في سياستهم او في اموالهم أو في جمعياتهم فقط بل في اتحادهم ووحدة مبدئهم - جاءت هذه الفكرة فهدمت ذلك الاتحاد الى سنين كثيرة، وزادت عليه فقضت بما احدثته من التأثير السيء على زعيمنا الاكبر هرتسل العظيم منشئ المؤتمرات، وذلك عندما رأى صروح عمله تنهار واتعابه تذهب أدراج الرياح.

ان الامة الاسرائيلية تجتاز الآن زمناً مخيفاً فقد اصبحت لا قائد لها ولا برو غرام ، واصبح افرادها لا ثقة للواحد منهم بالآخر ، والكل يجهل ماتؤدي اليه هذه الحالة . ومن يعلم ماذا يضمر لها المؤتمر السابع ، وهل هو يجري على خطة المؤتمر السادس ويتمم ما ابتدأ به من هدم جميع ما اشتغلنا فيه مدة ٢٥ سنة ؟ او هو يستخرج من اليأس قوة عظيمة فيسعى للتكفير عن تلك الزلة الهائلة التي ارتكبها المؤتمر السادس فيضع خطة جديدة لادارة العمل .

اني اريد ان اعتقد أنه سيختار الخطة الثانية لان السبيل الموصل اليها سهل هين، وهو الرجوع الى برو غرام مؤتمر بال بجملته ومافيه من الصراحة .

الفصل الخامس

ان النقطة الاساسية في برو غرام مؤتمر بال هي انشاء وطن سياسي حر مستقل للشعب الاسرائيلي في فلسطين . ويفهم من هذا بوضوح ان

الغاية الوحيدة من الحركة الصهيونية هي انشاء بلاد سياسية حرة مستقلة لليهود في فلسطين، لا ايجاد ملجأ او مركز روحي لهم، وقد ذكرت فلسطين ولم يذكر غيرها لان كل سعي يرمي الى بلاد غير فلسطين ليس هو من الصهيونية في شيء، واحر بالقائمين به ان لا يستظلوا بالعلم الصهيوني لنشر فكرتهم. ولذلك اصبح من واجب المؤتمر السابع ان يهدم ماوضعه اولئك المنافقون المتظاهرون بالصهيونية، ويزيد على بروغرام المؤتمر الاول كلمه واحدة لها معنى كبير وهي كلمة « فقط » أي « في فلسطين فقط » ويحتاط بمادة اخرى يضيفها الى القوانين الاساسية الصهيونية تضمن لمجموعها عدم التنقيح والتغيير فيها

وهنالك أيضاً اشياء اخرى يجب على المؤتمر تقريرها. منها ان يصادق على طرق العمل التي وردت في المواد الاربع المذكورة في بروغرام مؤتمر بال. وان لا ينقص حرفاً منها ولا يزيد عليها شيئاً من شأنه ان يصرف الاذهان الى طرق أخرى كانشاء ملاجئ أو مستعمرات خيرية، فاذا عمل ذلك سهل عليه انهاض الحركة من كبوتها والقبض على ازمتها والسير بها في أقوم طريق. وهانحن أولاء نأتي الآن على شرح تلك المواد الاربع من بروغرام مؤتمر بال لا كما وردت بالترتيب ولكن بحسب درجاتها في الاهمية ومايترآى لنا من سهولة تناولها. (له بقية)

[المنار]

لولم ينشر من هذا الكتاب الصهيوني الا هذه الفصول لكفت من يعتبر من العرب الفلسطينيين وغيرهم عبرة وبيانا لمقاصد هؤلاء الصهيونيين. وليعلم من لم يكن يعلم دين هذه الأمة وتاريخها أن الصهيونيين اذا تمهلهم مايريدون فانهم لا يبقون

« في أرض الميعاد » التي يؤسسون ملكهم الجديد فيها مسلما ولا نصرانيا . وليست أرض الميعاد أو فلسطين عندهم ما نسميه نحن الآن فلسطين فقط ، بل هي في عرفهم وتحديد كتبهم الدينية تمتد الى سورية حتى « النهر الكبير » أي نهر الفرات . فهذه بلاد لا يجوز عندهم أن يقيم فيها أحد غير الاسرائيليين . وفي سفر (تثنية الاشتراع) ان الرب أمرهم عند دخولهم فيها بعد خروجهم من مصر على يد موسى (ص) أن لا يستبقوا من أهلها نسمة ما . — والنص في ذلك تجده في باب الفتاوى — نعم انهم لا يبيدون الآن من فيها من غير اليهود بالسيف والنار كما فعل اسلافهم من قبل ، بل يبيدونهم بقوتي الكيد والمال ، وهما قوتان لهذا الشعب الصغير ترهبهما كبرى الأمم والدول ، حتى ان دولة الروسية القوية القاهرة انشأت تستميل في هذه الايام يهود بلادها على قلتهم لئلا يحدثوا فيها أحداثا وفتنا داخلية تزلزل أقدامها في هذه الحرب التي تقتضي مصلحة الدول المحاربة فيها أن لا يكون لها شاغل داخلي يشغلها . فماذا عسى أن يفعل العرب أصحاب فلسطين من أسباب المحافظة على وطنهم وأملاكهم فيه على تفر أوقهم جهل السواد الاعظم منهم بكنه الخطر وكنه قوة مزاحميهم ، وعلى جهلهم أيضا بالقوة أنفسهم وبطريق الانتفاع بها ؟

لا أقول إنه لا يمكن ن يعملوا ولكن أقول لابد من الروية والحزم وقوة الاجتماع ، ولا بد من المسارعة الى تنظيم وسائل الدفاع ، وليعلموا انه لا يكاد يوجد شعب من شعوب الارض غافل عن قوته واستعداده كالشعب العربي . فقوته واستعداده كامنان فيه كون النار في حجر الصوان تحت الثلج ، فمن ذا الذي يزيل أو يذيب الثلج عن هذا الحجر الصلد ، وأين مقدحة الحديد التي تقدح النار من هذا الزند ؟ سنجيب عن هذين السؤالين الايام ، فان الجواب عنهما احداث وافعال لا أحاديث ولا كلام .